NTU Journal for Administrative and Human Sciences (2024 : **80 - 114**
https://doi.org/10.56286/ntujahs.

IRAQI Academic Scientific Journals

JAHS NTU

P-ISSN: 2789-1240 E-ISSN:2789-1259

NTU Journal for Administrative and Human Sciences

Available online at: https://journals.ntu.edu.iq/index.php/NTU-JMS/index

Grammar Curriculum in Reading Books

Noor Ahmed Abdallah
Psychological Research Center

Article Informations

Received:1. 05. 2024
Accepted:15.05. 2024
Published online: 01. 06. 2024

Corresponding author :
Name Noor Ahmed Abdallah
Psychological Research Center
Email: ,
noorahmed.abdallah@gmail.com

Key Words:
Curriculum,
Grammar,
Reading, Books.

A B S T R A C T

It is established that the origins of Arabic grammar are divided into two parts: auditory (conveyal) origins, and rational origins. As for auditory, it is represented by the Holy Qur'an, the Noble Hadith, and the speech of Arabs who are trusted for their Arabic and eloquence: his poetry and prose. As for rationality, it is represented by analogy and reasoning...etc.

Hence this research, which focused on one aspect, which is citing listening to grammatical issues, came, so I named it: ((The Grammatical Method in Books of Recitations)). The methodology of this research required that it be divided into an introduction and three sections, followed by a conclusion.

The first topic was about Qur'anic readings, their concept, and types, and included two topics: -

In the first requirement, I discussed: the concept of Qur'anic readings in language and terminology and the basis for their differences, and the second requirement: I talked about the types of readings.

Then I ended the research with a conclusion in which I mentioned the most important results that I reached in this research..

©2023 NTU JOURNAL FOR ADMINISTRATIVE AND HUMAN SCIENCES, NORTHERN TECHNICAL UNIVERSITY. THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE: **https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/**

المنهج النحوي في كتب القراءات

م.د. نور أحمد عبدالله | مركز البحوث النفسية

المستخلص:

من الثابت أن النحو العربي تنقسم أصوله على قسمين: أصول سماعية (نقلية)، وأصول عقلية، فأما السماعية، فتتمثل في القرآن الكريم والحديث الشريف، وكلام العرب الموثوق بعربيّتهم وفصاحتهم: شعره ونثره، وأما العقلية فتتمثل في القياس والتعليل... إلخ. ومن هنا جاء هذا البحث الذي انصب على جانب واحد هو الاستشهاد بالسماع على المسائل النحوية فوسمته بـ:-((المنهج النحوي في كتب القراءات))، واقتضت منهجية هذا البحث أن يقسم إلى مقدمةٍ، وثلاثة مباحث، وأعقبتها خاتمة.

المبحث الأول:- الذي كان عن القراءات القرآنية، مفهومها، وأنواعها، وتضمن مطلبين، تناولت في المطلب الأول:- مفهوم القراءات القرآنية في اللغة والاصطلاح وأساس اختلافها، والمطلب الثاني:- تكلمت فيه عن أنواع القراءات.

والمبحث الثاني:- فقد كان لدراسة منهج النحويين في تناول القراءات القرآنية وكان على مطلبين:- المطلب الأول:- جاء لبيان موقف سيبويه والفرّاء من القراءات القرآنية، والمطلب الثاني:- كان للحديث عن موقف المُحدثين من القراءات القرآنية.

وخاتمة المباحث المبحث الثالث:- الذي كان في أثر القراءات القرآنية في البحث النحوي وجعلته في مطلبين:- المطلب الأول:- ذكرت فيه العلاقة بين القراءات القرآنية والبحث النحوي، والمطلب الثاني:- تضمن الحديث عن القراءات القرآنية والإعراب.ثم أنهيت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج في هذا البحث

المقدّمة

الحمدُ لله الأول والآخِر، الظاهر الباطن، القادر القاهر، شكرًا على تفضُّله وهدايته، وفزَعًا إلى توفيقه وكِفايته، ووسيلة إلى حِفظه ورعايته، ورغبةً في المزيد من كريم آلائه، وجميل بلائه، وحمدًا على نِعَمه التي عظُم خطرُها عن الجزاء، وجلَّ عددُها عن الإحصاء، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء، وعلى آله أجمعين، وسلَّم تسليمًا.

أمَّا بعدُ: فهذا بحثٌ المنهج النحوي في كتب القراءات القرآنية، أتحدث فيه عن هذا الأصل المهم من الأصول السماعية للنحو العربي، مُبينًا موقف العلماء – قدامى ومحدثين – من هذه القضية.

يقول الدكتور عوض بن حمد القوزي: ((الخطوات الأولى للدرس النحوي تتصل اتصالاً مباشرًا بالقرآن الكريم؛ إذ قامت لخدمته وحمايته من اللحن والتصحيف، ثم تطوَّرت فشمِلت بلاغته وإعجازه، وتعدَّتْ لدراسة تأويله وتفسيره، ثم دراسته دراسةً صوتية لمعرفة مخارج الحروف وتأثير بعضها في بعض، وبالنظر إلى كتاب سيبويه باعتباره أولَ كتاب في نحو العربية يصل إلينا، نجده يشتمل على هذه العلوم جميعًا – وإن لم يُسمَّها – ففي الكتاب نحو من أربعمائة آية قرآنية يَسوقها سيبويه للتدليل على بعض قواعد النحو، أو طُرق التعبير والأساليب اللغوية المتبعة))[1].

من الثابت أن النحو العربي تنقسم أصوله على قسمين: أصول سماعية (نقلية)، وأصول عقلية، فأما السماعية، فتتمثل في القرآن الكريم والحديث الشريف، وكلام العرب الموثوق بعربيَّتهم وفصاحتهم: شعره ونثره، وأما العقلية فتتمثل في القياس والتعليل... إلخ.

ومن هنا جاء هذا البحث الذي انصب على جانب واحد هو الاستشهاد بالسماع على المسائل النحوية فوسمته بـ:-((المنهج النحوي في كتب القراءات))، واقتضت منهجية هذا البحث أن يقسم إلى مقدمةٍ، وثلاثة مباحث، وأعقبتها خاتمة.

المبحث الأول الذي كان عن القراءات القرآنية، مفهومها، وأنواعها، وتضمن مطلبين:-

تناولت في **المطلب الأول:**- مفهوم القراءات القرآنية في اللغة والاصطلاح وأساس اختلافها، **والمطلب الثاني:**- تكلمت فيه عن أنواع القراءات.

والمبحث الثاني:- فقد كان لدراسة منهج النحويين في تناول القراءات القرآنية وكان على مطلبين:- **المطلب الأول:**- جاء لبيان موقف سيبويه والفرّاء من القراءات القرآنية، **والمطلب الثاني:**- كان للحديث عن موقف المُحدثين من القراءات القرآنية.

وخاتمة المباحث **المبحث الثالث:**- الذي كان في أثر القراءات القرآنية في البحث النحوي وجعلته في مطلبين:- **المطلب الأول:**- ذكرت فيه العلاقة بين القراءات القرآنية والبحث النحوي، **والمطلب الثاني:**- تضمن الحديث عن القراءات القرآنية والإعراب.

ثم أنهيت البحث **بخاتمة** ذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج في هذا البحث.

---

[1] ينظر: الأصول بين الفقهاء والنحاة؛ د. عوض بن حمد القوزي: ص 90.

أما منهجي في الدراسة فقد اتسم بجمع المادة العلمية من مظانها، وجاء المنهجان(الوصفي- والتحليلي) جنباً إلى جنب وفاقاً لما قام عليه البحث من عرض للآراء، مع إيضاح ما كان يستحق الإيضاح من هذه الآراء.

وقد تنوعت مصادر البحث بين: كتب النحو وأصوله، ومعاجم اللغة، والقراءات القرآنية، وغيرها.

وأخيراً فهذا جهد قد بذلته سائلةً ربي ﷻ أن يتقبله مني خالصاً لوجهه الكريم...والحمد لله في البدء والختام. وصلِ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الدراسات السابقة

عُني النحويون واللغويون بالقراءات القرآنية عناية فائقة، واستمدوا منها مادتهم للدراسة والبحث بكونها أصلاً أساسياً فيها ، فألفوا الكثير من المؤلفات في تأثير القراءات على النحو وتأثير النحو في القراءات، وسأكتفي بذكر بعضٍ منها.

1-أثر القراءات القرآنية في الدرس النحوي، بحث منشور في مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الانسانية، للدكتور مزيد اسماعيل نعيم، وروفائيل أنيس مرجان، إذ مهّد الباحثان عن القراءات المقبولة والشاذة منها، ثم استعرضوا مواقف النحويين من الأخذ بها وكيف وظفوها في الدرس النحوي.

2- أثر النحو في توجيه القراءات القرآنية، بحث منشور في حولية كلية اللغة العربية بجرجا لـ مشاعر محمد أجمد، ناقشت الباحثة أثر النحو في توجيه القراءات القرآنية وبيان العلاقة بينها وبين علم النحو، فضلاً عن أن للقراءات أثر كبير في استحداث بعض القواعد النحوية منها قاعدة نصب الفعل المضارع المقترن بفاء السببية بعد الرجاء حملاً للرجاء على التمني وقاعدة حكم الفعل المضارع المقترن بالفاء أو الواو إذا ولي فعلَ الشرطِ وجوابه، وغيرها من القواعد التي توضح أثر النحو في القراءات القرآنية.

3- اتجاه القراءات في النحو القرآني، بحث منشور في مجلة كلية التربية جامعة ديالى، للباحثين: د.ابراهيم رحمن حميد الأركي، م. صدام مجيد داود، تناول الباحثان موضوع القراءات القرآنية كونها مصدراً مهماً من مصادر الأصول النحوية ، فقد اعتمد عليها النحويون في مؤلفاتهم كونها مصدراً من مصادر الاستشهاد، فلا يكاد يوجد علم من علوم العربية درس النحو إلا وتُعدّ القراءات القرآنية رافداً من روافده .

4- القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، د. عبد العال سالم مكرم، إذ افرد المؤلف الباب الأول عن أثر القرآن الكريم في المدارس النحوية ومناهجها وأصول الاستشهاد بالقرآن الكريم وتأثير القراءات على الإعراب.

المبحث الأول

القراءات القرآنية، مفهومها، وأنواعها

لا يكاد يخلو علم من علوم العربية لاسيما النحو إلا وتُعدّ القراءات رافداً من روافده الثرة؛ فهذا علم اللغة، وعلم الصرف، وهذه علوم البلاغة، وهذه كتب المعجمات اللغوية يشكل القرآن الكريم بقراءاته أصلاً وركناً فيها، وهل نهضت علوم العربية إلا بالقرآن وعلومه.

المطلب الأول

مفهوم القراءات القرآنية وأساس اختلافها

القراءة في اللغة:

القراءات: جمع قراءة ، وهي مصدر قرأ ، وهي الجمع والضَّمّ ، يقال: (ما قرأت الناقة جميعاً، أي: لم تضم رحمها على ولد، قال أبو عبيدة : وقرأ الشيء قرآناً بالضم جمعه وضمه، ومنه سمي القرآن؛ لأنه يجمع السور ويضمّها، وقوله تعالى:﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾[2]، أي: قراءته. وسميت قراءة الخط قراءة؛ لأن القارئ يجمع الحروف بعضها الى بعض فيقرؤها)[3].

وفيه قول آخر: (لم تقرأ جنيناً) أي:- لم تلقه[4]، ومعنى قرأت القرآن بناء على هذا: لفظت به مجموعاً[5].

القراءة في الاصطلاح:

لعلماء القراءات-رحمهم الله- جملة من التعريفات في حدِّ القراءات وهي[6]:

---

[2] سورة القيامة:17.

[3] ينظر: الصحاح مادة(قرأ) : 65/1.

[4] ينظر: جامع البيان: 95/1-96، تح: أحمد شاكر، دار المعارف، وقارن بلسان العرب وتاج العروس، مادة: قرأ.

[4] ينظر: لسان العرب:-3565/5، وتاج العروس، مادة "قرأ":-268/1.

1-عرَّف أبو حيان (ت754هـ) القراءات في أثناء تعريفه للتفسير، إذ قال: ((التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها في أحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها التركيب وتتمات لذلك)).

ثم قال رحمه الله: ((وقولنا: يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن وهذا هو علم القراءات))[7].

يلاحظ أن هذا التعريف أقرب إلى موضوع التجويد منه إلى تعريف القراءات[8].

2-عرَّف بدر الدين الزركشي (ت794هـ) القراءات تعريفاً يفرق فيه بينها وبين القرآن، فقال: ((القرآن هو الوحي المنزل على محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبه الحروف، أو كيفياتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما))[9].

ومن تعريف الزركشي للقراءات نلحظ ما يأتي:-

- انه خصص القراءات في تعريفه بمواضع الاختلاف، ولم يشر إلى مواضع الاتفاق فيها[10].

- انه قصر الاختلاف في القراءات على ما ذكر ولم يشر -بوضوح- إلى الاختلاف في اللغة، والإعراب، والحذف، والاثبات، وهو واقع في القراءات[11].

3-عرَّف شمس الدين بن الجزري(ت833هـ) القراءات بقوله: ((القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة))[12].

أساس اختلاف القراءات:

---

[6] بدأت التعريف بقول أبي حيان من القرن الثامن، لأني لم أجد تعريفاً اقدم من تعريفه في ما بين يديّ من كتب.

[7] البحر المحيط: 14/1.

[8] يعرّف التجويد بأنه: "إخراج كل حرف من القرآن الكريم من مخرجه مع إعطائه حقّه ومستحقه". ينظر: البرهان في تجويد القرآن:9-10، وهداية القارئ إلى تجويد كلام البارئ: 37-38، والموجز الفريد في أحكام التجويد: 38.

[9] البرهان في علوم القرآن: 318/1.

[10] ينظر: القراءات القرآنية تاريخ وتعريف: 63، والقراءات وأثرها في التفسير والأحكام: 108/1.

[11] ينظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام:108/1.

[12] منجد المقرئين:3.

لا يقوم اختلاف القراءات على اجتهاد الاشخاص، ووجهات انظارهم، أو على اساس قياس يراعي القوم قواعده ، وانما القراءة سنُة متبعة، تقوم على سند متواتر عن الحبيب المصطفى (ﷺ).

وقد ذكر العلماء للقراءة الصحيحة أركاناً ثلاثة:-

1- صحة سندها إلى رسول الله (ﷺ).

2- موافقتها لرسم المصحف.

3- موافقتها وجهاً من وجوه العربية.

يقول ابن الجزري عن القراءة إذا استوفت الأركان الثلاثة:- ((لا يجوز ردّها، ولا يحلّ انكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القران، ووجب على الناس قبولها، سواء أكانت عن الائمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الائمة المقبولين، ومتى اختلَّ ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء أكانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف))[13].

المطلب الثاني

أنواع القراءات القرآنية

1- القراءة المتواترة: من المعلوم أن القرآن الكريم أنزل على سبعة احرف كما ورد في الحديث المتواتر ((أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شافٍ كاف))[14]

ومن هنا اختلفت قراءات الصحابة والتابعين، ولسنا هنا بصدد بيان معنى هذه الأحرف التي كَثُرَ الخلاف فيها، ولكن نريد التنبيه على أنّ القراءات على اختلافها ترجع إلى حرفٍ واحد أو ما احتمله رسم المصحف من احرف، كما ذكره الطبري (ت 310هـ) في كتابه "في القراءات" الذي لم يصل إلينا، ونقله عنه مكي بن أبي طالب[15].

ولمّا كثرت القراءات وضع العلماء ضوابط للقراءة الصحيحة اولها: الرواية، وهذا الضابط موجود منذ زمن النبي(ﷺ)، ثم موافقة رسم المصحف بعد أن نسخ عثمان

---

[13] النشر في القراءات العشر:9/1 ، وينظر: البرهان في علوم القران: 231/1، ولطائف الإرشاد: 67/1.

[14] صحيح البخاري: 226/3.

[15] ينظر: الإبانة عن معاني القراءات: 2،3،12، ومحاضرات في علوم القرآن: 127-128، والقراءات عند مكي بن ابي طالب، عبد الستار فاضل، مجلة آداب الرافدين، العدد 27: 198-199 لسنة 1995م.

(رضى الله عنه) المصاحف، ثم بعد ذلك كان الضـــابط الثالـــث وهـــو موافقـــة العربيـــة ولـــو بوجه.

ومن هنا أجمع أهل الأمصار على أئمـــة اشـــتهروا بالضـــبط والاتقـــان، اختـــارهم ابـــن مجاهد (ت324هـــ) في كتابه "السبعة في القراءات"، عرفوا بالقراء السبعة وهم[16]:-

1-عبد الله بن عامر اليحصبي الشامي،(ت 118هـــ).

2-عبد الله بن كثير الداري المكي، (ت120هـــ).

3-عاصم بن أبي النجود الكوفي، (ت127هـــ).

4-أبو عمرو بن العلاء البصري، (ت 154هـــ)

5-حمزة بن حبيب الزيات، الكوفي،(ت 156هـــ).

6-أبو عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، المدني، (ت 169هـــ).

7-علي بن حمزة الكسائي، الكوفي، (ت 189هـــ).

ويتلوهم في الشهرة أصحاب القراءات الثلاث المتممة للعشر[17] والمنسوبة إلى:

8-أبي جعفر يزيد بن القعقاع المدني، (ت 130هـــ).

9-أبي محمَّد يعقوب بن اسحاق الحضرمي، (ت 205هـــ).

10-أبي محمَّد خلف بن هشام البزار، (ت 229هـــ).

ثم تأتي القراءات الأربع المتممة للأربع عشرة والمنسوبة إلى[18]:-

11-الحسن البصري، (ت 110هـــ).

12-الأعمش سليمان بن مهران، (ت 148هـــ).

13-اليزيدي يحيى بن المبارك، (ت 202هـــ).

14-ابن محيصن محمّد بن عبد الرحمن المكي، (ت 123هـــ)

2-الأحادية:وهي التي لم تصل في نقلها إلى مستوى يفيـــد باتصـــالها بـــالنبي(ﷺ) مـــع كونهـــا جامعة للشروط الثلاثة[19]، ويعد هذا النـــوع مـــن القـــراءات مـــن الضـــوابط التـــي وضـــعها

---

[16] تكلم ابن مجاهد في كتابه "السبعة على أحوالهم، ينظر: السبعة: 53-87، والتيسير: 4-7، والبدور الزاهرة: 7،8.

[17] ينظر: نبذة عنهم في شرح طيبة النشر: 11-12.

[18] ينظر: اتحاف فضلاء البشر: 7.

[19] ينظر: القراءات القرآنية: 57-59.

العلماء للتمييز بين القراءات المتواترة وغيرها[20]، على رأي القائلين: ما جاء مجيء الآحاد لا يثبت به قرآن وإن وافق العربية، ورسم المصحف ونقله الثقات[21]؛ لأن القرآن عند جمهور المذاهب الأربعة هو: ((ما نقل بين دفتي المصحف نقلاً متواتراً))[22]، وتدخل في الأحادية القراءات المنسوبة إلى الصحابة، وهي التي استفاض نقلها وتلقتها الأمة بالقبول[23].

وقد يلحق هذا النوع عند بعضهم بالمتواتر؛ لاقترانه بما يفيد العلم باتصاله بالنبي(ﷺ)[24].

3-الشاذة: وهي المخالفة للرسم العثماني، التي لم تتلقها الأمة بالقبول لعدم استفاضتها[25]. ويعرّفها ابن الجزري بقوله: ((ما وافق العربية وصحَّ سنده وخالف الرسم))[26]. وقد اختلف العلماء في تحديد ضوابط الشذوذ في القراءات القرآنية مما أدى إلى عدم استقرار المعنى.

المبحث الثاني: منهج النحويين في تناول القراءات القرآنية

توطئة:

---

[20] ينظر: المصدر نفسه: 17.

[21] ينظر: المرشد الوجيز: 181.

[22] اتحاف فضلاء البشر: 181.

[23] ينظر: منجد المقرئين: 16.

[24] ينظر: القراءات القرآنية: 57-58.

[25] ينظر: القراءات القرآنية: 58-59.

[26] منجد المقرئين: 165.

يقول الدكتور محمد خير الحلواني: ((إن النحاة لم يكونوا على منهج واحد في أمر القراءات القرآنية التي تَخرُج عن قراءة الجمهور، فمنهم مَن ردَّ بعضها، وقَبِل بعضًا آخرَ، ومنهم مَن جعل قراءات القرآن كلها حُجة))[27].

تقول الدكتور خديجة الحديثي: ((فالاستشهاد بالقراءات المتواترة غير المخالفة للقياس، سار عليه البصريون كما سار عليه الكوفيون، أما الاحتجاج بالقراءات الشاذة والقياس عليها، واعتبارها أصلاً من أصول الاستشهاد، فهو ليس من منهج البصريين؛ لأنهم لم يكونوا يعتبرون من القراءات حُجة إلا ما كان موافقًا لقواعدهم وأقْيسَتهم، وأصولهم المقرَّرة، فإن خالَفتها ردُّوها، في حين كانت القراءات مصدرًا من مصادر النحو الكوفي))[28].

يقول الدكتور مهدي المخزومي: ((والقراءات مصدر هام من مصادر النحو الكوفي، ولكن البصريين كانوا قد وقَفوا منها موقفهم من سائر النصوص اللغوية، وأخضعوها لأصولهم وأقْيسَتهم، فما وافَق منها أصولهم ولو بالتأويل، قبِلوه، وما أباها رفضوا الاحتجاج به، ووصفوه بالشذوذ، كما رفضوا الاحتجاج بكثيرٍ من الروايات اللغوية، وعدُّوها شاذَّة، تُحفظ ولا يُقاس عليها))[29].

وقد ذكرت الدكتور خديجة الحديثي أن مِن النحاة مَن توسَّط، فأجاز الاستشهادَ بها لا القياس عليها[30].

وقد رفض الدكتور عبد العزيز الدليمي تعميم وإطلاق الحكم القائل: إن البصريين ردُّوا القراءات الشاذة، والكوفيين قد قبِلوها على الإطلاق، فيقول في ذلك: "أما ما نقلوه من أن الكوفيين هم الذين اعتمدوا على القراءات وقاسوا عليها، وأن البصريين وحْدهم هم الذين رفضوا بعض القراءات؛ لأنها تخالف أصولهم وأقيستهم – فهو قولٌ غير سديد.

إن موقف النحاة واللغويين من القراءات موقف موحَّد لا يختلف فيه كوفي عن بصري، والحق أن كثيرًا من النحاة قد وقفوا من بعض القراءات موقفًا مجانبًا للصواب، ولكن هؤلاء النحاة لم يكونوا كلهم بصريين، فكما كان منهم بصريون؛ أمثال: المازني ت 209هـ، والمبرد ت 285هـ، والزجاج ت 310هـ، كان منهم أيضًا كوفيون؛ أمثال:

---

[27] أصول النحو العربي؛ محمد خير الحلواني، : 37.

[28] الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه؛ للدكتورة خديجة الحديثي، :47.

[29] مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو؛ للدكتور مهدي المخزومي، :384.

[30] ينظر: الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه؛ للدكتورة خديجة الحديثي، : 138.

الكسائي ت 189هـ، والفراء ت 207هـ، بل ربما كان الكسائي هو الذي بدأ تَخطئة القرَّاء؛ إذ نرى الفراء يتوقَّف في كتابه (معاني القرآن) مرارًا؛ ليقول: ((إن الكسائي كان لا يُجيز القراءة بهذا الحرف أو ذاك، ويُفهَم من بعض نصوص معاني القرآن للفراء أنه يَرُدُّ بعض القراءات، ويَرمي بعض القرَّاء بالوهْم))[31].

والباحثة تتفق مع الدكتور عبد العزيز كل الاتفاق، ودليلي ما ذكره الدكتور شوقي ضيف من أن الكسائي والفراء قد فتَحا للبصريين التالين لهما تَخْطئة بعض القراءات، بينما أغلق الكوفيون الذين خلَفوهما هذا الباب، وأن القارئ لكتاب سيبويه لا يجد تَخطئة واحدة لقراءة من القراءات مع كثرة ما استشهد منها، بل إن سيبويه قد صرَّح بقَبولها جميعًا مهما كانت شاذَّة عن مقاييسه؛ حيث قال سيبويه: القراءة لا تُخالَف؛ لأنها السُّنة، وأن الخليل شيخ سيبويه كان يَحترم القراءات ولا يَطعُن فيها[32].

وأما عن المحدثين وقف بعض علماء اللغة المحدثين من الاستشهاد بالقراءات موقف الناقد لصنيع النحاة؛ حيث إنهم اتَّهموا النحاة بتحكيم قواعدهم في القراءات الصحيحة التي نقلها الفصحاء العلماء، ويرون أن أقيسة النحاة أوهى من بيت العنكبوت، وأن البصريين منهم قد تسرَّعوا فوَهَّوْا بعض القراءات تعصُّبًا لمقاييسهم النظرية التي وضعوها دون استقراء وافٍ، ومن هنا أخذ علماء اللغة المحدثون على النحاة عدم استيعاب قواعدهم للقراءات، وإضاعتهم على أنفسهم ونحوهم مئات الشواهد الْمُحتج بها.

ومن علماء اللغة مَن وقف موقفًا معتدلاً؛ إذ قرر أن القراءات قد أمدَّت الدرس النحوي بما وسَّع من أُفقه، وأغناه على مَرِّ العصور، فهي مصدر من مصادر الدرس النحوي عند البصريين والكوفيين.

ومنهم مَن يرى أنها من أهم العلوم الإسلامية؛ لأنها أوثقها اتِّصالاً بالنص القرآني، وهي التي أصَّلت منهج النقل اللغوي عند العرب، بما أصَّلت من الاعتماد على الرواية[33].

ومن علماء اللغة المحدثين مَن رأى أن القراءات تُمثل منهجًا في النقل لا يصل إلى وثاقته علم آخر، وأنها مرآة صادقة تعكس الواقع اللغوي الذي كان سائدًا في شبه

---

[31] الدراسات النحوية واللغوية في البحر المحيط؛ للدكتور عبد العزيز الدليمي، :80.

[32] ينظر: المدارس النحوية؛ للدكتور شوقي ضيف، : 157؛ بتصرف.

[33] ينظر: موقف علم اللغة من أصول النحو العربي؛ للدكتور مطير بن حسين المالكي، :12، وفقه اللغة؛ للدكتور أحمد قدورة، والقياس في النحو؛ للدكتور سعيد جاسم الزبيدي.

الجزيرة العربية قبل الإسلام، ومنهم مَن يرى أن علم القراءات من العلوم التي ينبغي الاعتماد عليها في دراسة العربية الفصحى؛ لأن رواياتها هي أوثق الشواهد على ما كانت عليه ظواهرها الصوتية والصرفية والنحوية واللغوية بعامة في مختلف اللهجات، بل إن من الممكن القول بأن القراءات الشاذة هي أغنى مأثورات التراث بالمادة اللغوية، والتي تصلح أساسًا للدراسة الحديثة"[34].

المطلب الأول

موقف سيبويه والفرّاء من القراءات القرآنية:

أولاً: موقف سيبويه ت 180هـ:

تقول الدكتور خديجة الحديثي: ((أما سيبويه – شيخ النحاة البصريين الذين كانوا يُخضعون القراءات لأقيستهم وإجماعهم وأصولهم التي وضعوها، وإن كانت من القراءات السبع التي اعتُمِدت ونُقِلت نقلاً متواترًا عن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم عند أكثر الباحثين – فلم يَعِب قارئًا، ولم يُخطِّئ قراءة، بل كان يذكرها؛ ليُبين وجهًا من العربية فيها، وليُقوِّي بها ما ورد عن العرب، وإن كانت القراءة من القراءات المفردة، لا يردها ولا يَصِفها بالشذوذ أو الخطأ، ولا يصف القارئ بالخطأ أو يَطعُن فيه، إنما يُحاول تخريجها على إحدى لغات العرب، وهو الذي يعتبر اللغات الواردة عن العرب فصيحة صحيحة، وليس المتكلم بها مخطئًا، فكيف يُخطِّئ القرّاء وهم أئمة المسلمين وأعلامهم، وما قرؤوا به لا يُخالَف؟!))[35].

يقول الدكتور محمود نحلة: ((وأُثِر عن سيبويه استشهاده بما عُرِف من بعدُ بالقراءات الشاذة إذا لم تخالف قياسًا معروفًا، فإذا خالفت القراءة القياس، أعرض عن ذكرها، وتجنَّب الإشارة إليها، أو ذكرها وذكَر رأي بعض أساتذته فيها دون تعقيبٍ منه، ومن ذلك أنه لم يذكر قراءة ابن عامر: (كن فيكون) بالنصب، وكذلك فعل في قراءة حمزة: (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحامِ) بجر الأرحام عطفًا على الضمير دون إعادة الجار؛ لأن المضارع في الأولى لا ينصب عنده بالفاء في الأمر إلا إذا كان جوابًا له،

---

[34] ينظر: موقف علم اللغة من أصول النحو العربي؛ للدكتور مطير بن حسين المالكي، : 12، واللهجات العربية؛ للدكتور عبده الراجحي، : 184، والقراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث؛ للدكتور عبد الصبور شاهين، : ٧، 8، وعلم اللغة للدكتور محمود سليمان ياقوت، : 132، 133.

[35] الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه؛ للدكتورة خديجة الحديثي، :51.

ولأنه لا يجوز في الثانية عنده العطف على الضمير المجرور (محلاً) إلا بإعادة الجار))[36].

ثانيًا: موقف الفراء ت 207هـ:

المتتبع للفراء ومنهجه في تناوُل القراءات، يجد أنه قد ظهرت عنده ثلاث صور: الأولى: قَبول القراءة، والثانية: ترجيح إحدى القراءتين على الأخرى، والثالثة: رد القراءة بسبب شذوذها، وما يترتب عليها من معنًى فاسد للآية.

الصورة الأولى: قَبول القراءة:

ومثل ذلك: قوله تعالى: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ} [البقرة: 37] يقول الفراء: "فآدم مرفوع و(كلمات) في موضوع نصب، وقد قرأ بعض القرَّاء: (فتلقى آدمَ من ربه كلماتٌ)، فجعل الفعل للكلمات، والمعنى – والله أعلم – واحد؛ لأن ما لَقِيك فقد لقيته، وما نالَك فقد نِلْتَه"[37].

فالفراء يحكي هذه القراءة وهي قراءة الإمام ابن كثير المكي، ويُوجِّهها توجيهًا لغويًّا لطيفًا على الرغم من أنها مخالفة لقراءة السبعة[38].

الصورة الثانية: ترجيح إحدى القراءتين على الأخرى:

وذلك كأن يحكي القراءات في الموضع الواحد، ثم يأتي بما يحتج به على كل قراءة على حِدَة، ثم يُرجِّح بعض هذه القراءات على غيرها بقوله: "وهو أجود الوجهين"، أو بقوله: "وإنه لأحب الوجهين إليّ"، أو يقول: ((اخترنا الرفع))[39].

ومثل ذلك كلامه على القراءات في كلمة (أماني) من قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} [البقرة: 78].

يقول الفراء: ((فالأماني على وجهين في المعنى، ووجهين في العربية، فإن من العرب مَن يُخفف الياء، فيقول: "إلا أمانيَ وإن هم"، ومنهم مَن يُشدِّد، وهو أجود، وكذلك ما كان مثل أُضحية وأُمنية، ففي جميعه الوجهان: التخفيف، والتشديد))[40].

---

[36] أصول النحو العربي؛ للدكتور محمود نحلة، : 34،35.

[37] معاني القرآن للفراء؛ تحقيق أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، 1: 28.

[38] موقف الفراء من القراءات المتواترة في كتابه معاني القرآن؛ للدكتور محسن هاشم درويش، : 25.

[39] موقف الفراء من القراءات المتواترة في كتابه معاني القرآن؛ للدكتور محسن هاشم درويش، : 29، 30.

[40] معاني القرآن؛ للفراء، 1: 49.

فالفراء هنا قد رجَّح قراءة التشديد على قراء التخفيف، وإن كان قد قبلهما جميعًا.

الصورة الثالثة: رد القراءة بسبب شذوذها، وما يترتب عليها من معنًى فاسد للآية:

وفي هذه الصورة ردَّ الفراء بعض القراءات وضعَّفها، ويُعلل ذلك الدكتور محسن هاشم بقوله: ((وهذا فيما يبدو لي نابع من خَلَلٍ منهجي اعتمده النحاة، أدَّى بهم إلى الوقوع في شَرَكٍ خطير، ومزلقٍ كبير؛ نتيجةً لإنزال القرآن الكريم أعلى وأرقى نصٍّ عربي وصَل إلينا سليمًا من التصحيف، مُنزهًا عن التحريف، وتبعًا له قراءاته – أنزلوها على قواعدهم العقلية ومناهجهم المنطقية، فترى أحدهم يَحتج بقول شاعر مجهول، ويترك الأخذ عمن نقَل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم))[41].

يقول الفراء: ((وقوله: {وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ} [الأنعام: 137]، وكان بعضهم يقرأ: (وكذلك زُيِّن لكثير من المشركين قتلُ أولادهم)، فيَرفع القتل إذا لم يُسمَّ فاعلُه، ويرفع (الشركاء) بفعلٍ ينويه كأنه قال: زيَّنه لهم شركاؤهم، وفي بعض مصاحف الشام (شركايهم) بالياء، فإن تكن مثبتة عند الأولين، فينبغي أن يقرأ (زُيِّن)، وتكون الشركاء هم الأولاد؛ لأنهم منهم في النَّسَب والميراث، فإن كانوا يَقرؤون (زَيَّن)، فلست أعرف جِهتها، إلا أن يكونوا فيها آخذين بلغة قوم يقولون: أتيتها عشايا، ثم يقولون في تثنية الحمراء (حمرايان)، فهذا وجه أن يكونوا قالوا: (زَيَّن لكثير من المشركين قتل أولادهم شركايهم)، وليس قول من قال: إنما أرادوا مثل قول الشاعر:

فزَجَجْتُها مُتمكنًا = زجَّ القلوصَ أبي مَزادهْ

بشيءٍ، وهذا مما كان يقوله نحويو أهل الحجاز، ولم نجد مثله في العربية))[42].

وقال أيضًا: ((وليس قول مَن قال: (مخلف وعدَه رُسُلِه)، ولا (زُيِّن لكثير من المشركين قتْلُ أولادَهم شركائهم) بشيءٍ، وقد فُسِّر ذلك، ونحويو أهل المدينة ينشدون:

فزَجَجْتُها مُتمكِّنًا = زَجَّ القلوصَ أبي مَزادهْ

قال الفراء: باطل، والصواب: زجَّ القلوصِ أبو مَزاده))[43].

يقول الدكتور محسن هاشم منتقدًا الفراء في توجيهاته: ((لا بد من الإشارة إلى أن القراءة التي لم يعدها الفراء بشيءٍ، وأبطَل ما رُوِي من شواهد العربية على منوالها مما تشهد القراءة لصحته، ولا أقول العكس – هي قراءة الإمام الحافظ الثَّبت التابعي عبد الله

---

[41] موقف الفراء من القرارات المتواترة في كتابه معاني القرآن؛ للدكتور محسن هاشم درويش، : 34.

[42] معاني القرآن للفراء، 1: 357، 358.

[43] السابق نفسه، 2: 81، 82.

بن عامر اليَحْصُبي الدمشقي، وقراءته كما هو معلوم من القراءات السبع المتواترة التي أجمع عليها المسلمون، وهذا من الفراء غير مقبول ولا معقول))[44].

لكن الدكتور شوقي ضيف يَلتمس الأعذار للفراء وكل مَن اقتفى أثرَه في رد بعض القراءات المعتمدة؛ فيقول: ((فالفراء وأمثاله – ممن يرد بعض القراءات التي لا تعدو حروفًا معدودة – لم يكن دافعهم إلى ذلك الطعن والتنقص، وإنما كان دافعهم الرغبة الشديدة في التحري والتثبت))[45].

المطلب الثاني

موقف المُحدثين من القراءات القرآنية:

أولًا: موقف الشيخ سعيد الأفغاني ت 1997م

يقول الدكتور علي أبو المكارم: "حاوَل الأستاذ سعيد الأفغاني أن يَدعَم هذا الاتجاه الذي يَحتج بكل القراءات القرآنية، بما فيها القراءات الشاذة، منطلقًا من نقطة بدء تختلف إلى أبعد غايات الاختلاف عن النقطة التي بدأ منها النحاة في احتجاجهم بهذه القراءات؛ إذ يبدأ من مُسلَّمة عنده بأن "القياس يتضاءل عن السماع"، لينتهي منها إلى أن "قراءات القرآن جميعها حجة في العربية – متواترها وآحادها وشاذها – وأكبر عيبٍ يُوجَّه إلى النحاة عدم استيعابهم إياها، وإضاعتهم على أنفسهم ونحوهم مئات من الشواهد المجتمع بها، ولو فعلوا لكانت قواعدهم أشدَّ إحكامًا"، في حين أن النحاة إنما يبدؤون من ضرورة البحث عن مصدر جديد للمادة اللغوية، يهدف إلى تأييد ما تسلم إليه الأقيسة النحوية، فهم يرتكزون على قاعدة غير التي انطلق منها الأستاذ الأفغاني، وهي التدليل على صحة القياس ونتائجه، وليس "أفضلية السماع على القياس" كما ذهب[46].

ومما سبق يتلخَّص موقف الأستاذ سعيد الأفغاني من القراءات في نقطتين:

الأولى: متابعته العلماء الذين قالوا بالاحتجاج بالقراءات كلها: المتواترة، والآحاد، والشاذة.

الثانية: نقده بعض النحاة الذين عابوا القرَّاء ولَحَّنوهم، وردُّوا بعض القراءات بحجة مخالفتها الأقيسة النحوية التي وضعوها.

---

[44] موقف الفراء من القرارات المتواترة في كتابه معاني القرآن؛ للدكتور محسن هاشم درويش، : 35، 36.

[45] المدارس النحوية؛ للدكتور شوقي ضيف، : 223.

[46] ينظر: أصول التفكير النحوي؛ للدكتور علي أبو المكارم، : 128.

أما النقطة الأولى: فقد تابَع العلماء في قولهم، وذكر أن النص القرآني هو النص الصحيح المجمع على الاحتجاج به في اللغة والنحو، والصرف وعلوم البلاغة، وأن القراءات القرآنية التي وصلت إلينا بالسند الصحيح حُجة لا تُضاهيها حُجة، وأن الطرق المختلفة للقرآن في الأداء صحيحة أيضًا، وأن روايات القرآن – سواءً أكانت متواترة، أم شاذة – يُحتج بها، والقراءة الشاذة لا يُقرأ بها، ولكن يُحتج بها في اللغة والنحو.

وراح يُعلل موقفه هذا بقوله: لأنها رُوِيت عن الصحابة وقرَّاء التابعين، وهم بطبيعة الحال ممن يُحتج بكلامهم العادي، بَلْه قراءاتهم التي تَحَرَّوْا ضبْطها جهد طاقتهم كما سمِعوها من الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن أئمة القرَّاء –مثل أبي عمرو بن العلاء، والكسائي، ويعقوب الحضرمي– هم أئمة في اللغة والنحو أيضًا.... ولئن كان القراء أسقطوا القراءة بها –يعني القراءة الشاذة– لعدم وثوقهم أنها قراءة النبي نفسه، فإن على علماء اللغة والنحو أن يَعَضُّوا عليها بالنواجذ؛ إذ كان رُواتها الأعلون عربًا فُصحاءَ، سليمة سلائقُهم، تُبنى على أقوالهم قواعد العربية، وأنت تعرف أن النحاة يَحتجون بكلام مَن لم تَفسُد سلائقُهم من تابعي التابعين، فلأن يَحتجوا بقراءة أعيان التابعين والصحابة أَوْلَى، ورُجحان قراءات القرآن في حجيتها اللغوية والنحوية على شواهد النحاة، عُرفٌ قديم تَعاوَره العلماء[47].

أما النقطة الثانية، فهي نقدُه بعض النحاة الذين عابوا القرَّاء ولَحَّنوهم، وردُّوا بعض القراءات بحجة مخالفة الأقيسة النحوية التي وضعوها؛ يقول الأستاذ الأفغاني: ((وهنا أمر ينبغي التنبيه إليه بشيء من التفصيل، فالحق أن موقف النحاة من النصوص العربية حين وضعهم القواعد، فيه خللٌ واضطراب من الناحية المنهجية، وأن موقف القرَّاء – علميًّا ومنطقيًّا ومنهجيًّا – سديدٌ متسق))[48].

ختم الأفغاني كلامه السابق بهذا السؤال، ثم راح ينتقد موقف النحاة من القراءات الشاذة، ذاكرًا أن في قواعدهم النحوية بعض الثغرات التي من شأنها أن تَسِمَ منهجهم بالخلل وعدم الدقة؛ يقول الأستاذ الأفغاني: ((الحق أن النقد يجد في صف النحاة وفي وقواعدهم ثغرًا عدة يَنفُذ منها إلى الصميم، فهم يريدون بناء قواعدهم على كلام العرب، فيجمعون نُتَفًا نثرية وشعرية من هذه القبيلة ومن تلك، من أعرابي في الشمال إلى امرأة في الجنوب، ومن شعر لا يُعرَف قائله إلى جملة غير منسوبة، يجمعون هذا إلى أقوال

---

[47] ينظر: في أصول النحو؛ للأستاذ سعيد الأفغاني، : 28، 29.

[48] ينظر: السابق نفسه، : 29.

معروفة مشهورة، ويضعون قواعد تَصدُق على أكثر ما وصل إلينا بهذا الاستقراء الناقص الذي لا يَستند إلى خطة محكمة في الجمع، حتى إذا أتت بعضهم قراءةٌ صحيحة السند تُخالف قاعدته القياسية، طعَن فيها، وإن كان قارئها أبلغَ وأعرب من كثيرٍ ممن يَحتج النحوي بكلامهم! فلا استقراؤه كامل أو كافٍ، ولا لشواهده التي استند إليها بعض ما للقراءات الصحيحة من القوة، ولا للغة التي تَخضَع للمقاييس التي ابتدَعها، وخير ما يَصِف اضطراب موقفهم هذا قول الرازي: ((إذا جوَّزنا إثبات اللغة بشعر مجهول منقول عن قائل مجهول، فلأن يُجوَّز إثباتها بالقرآن العظيم، كان ذلك أَوْلَى.... وكثيرًا ما ترى النحويين يتحيَّرون في تقرير الألفاظ الواردة في القرآن، فإذا استشهدوا في تقريره ببيت مجهول فرِحوا به، وأنا شديد التعجب منهم، فإنهم إذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وَفْقه دليلاً على صحته، فلأن يجعلوا ورود القرآن به دليلاً على صحته كان أَوْلَى))[49].

وبعد أن انتهى الأستاذ الأفغاني من نقده موقفَ النحاة من الاحتجاج بالقراءات – وخصوصًا الشاذة – واستعراضه أقوالَ بعض القدماء – من القرَّاء والمفسرين والفقهاء الذين اتَّفق معهم في موقفهم الناقد والمهاجم والمتَّهم للنحاة – راح يُعطي الدواء؛ ليَقطَع دابر الداء، وليَستأصِل هذا الوباء من جذوره، فقال: "والمنهج السليم في ذلك أن يُمعِنَ النحاة في القراءات الصحيحة السند، فما خالَف منها قواعدهم، صحَّحوا به تلك القواعد، ورجعوا النظر فيها؛ فذلك أَعْوَدُ على النحو بالخير، أما تحكيم قواعدهم الموضوعة في القراءات الصحيحة التي نقلها الفُصحاء، فقلبٌ للأوضاع، وعكسٌ للمنطق؛ إذ كانت الروايات الصحيحة مصدر القواعد لا العكس"[50].

وبذا يكون قد اتَّضح موقف الأستاذ الأفغاني من القراءات والاحتجاج بها.

ثانيا: موقف الدكتور محمد عيد ت 2004م:

يقول الدكتور مطير بن حسين المالكي: ((يرى الدكتور محمد عيد في كتابه (الرواية والاستشهاد) أن النحاة صرفوا أنفسهم قصدًا عن الاستشهاد بالقرآن والحديث، مع علمهم بوجود هذه الثروة الموثقة من النصوص، إلا أنهم تَحرَّجوا من استخدامها في دراستهم، ووقف التحرُّز الديني بينهم وبين الإفادة منها، ويرى أن النحاة سلكوا مسلكًا مضادًّا لما كان ينبغي، فذهبوا يُوثِّقون نصوص القرآن والحديث بما هو أقل منها توثيقًا فيما أُطلق

---

[49] في أصول النحو؛ للأستاذ سعيد الأفغاني ، : 31، 32.

[50] السابق نفسه، : 32، 33.

عليه (كلام العرب)، ويرى أيضًا أن تدخُّل العامل الديني في موقف النحاة من نصوص القرآن والسنة أمرٌ جانَب التوفيقَ من وجهة النظر الحديثة، باعتباره عاملاً دخيلاً، لم يكن من المفيد اعتباره في دراسة اللغة، وكان من واجب النحاة أن يُوجِّهوا جهودهم لدراسة القرآن والحديث بعد التأكُّد من توثيق القراءات والأحاديث، بدلاً من الرهبة الدينية التي حرَمتْهم وحرَمتْنا معهم من الاعتماد على نصوص موثَّقة هي القرآن والسنة، ويرى أنه من المفيد الآن أن نُعيد تصحيح ما سنَّه لنا الأقدمون في هذا الموضوع من سُنة غير حسنة، وأن نُنحِّي عن أذهاننا الرَّهبة الدينية أمام نصوص القرآن والسنة، باعتبارها رهبةً مفتعلة، لم يكن لها ما يُسوِّغها في دراسة لغوية لنصوص القرآن والحديث))[51].

ومما سبق يتَّضح أن الدكتور محمد عيد نحا بالمسألة نحوًا آخرَ؛ إذ إنه يقول بتعمُّد النحاة تَنْحِيةَ بعض القراءات والحديث الشريف، مُعلِلاً ذلك بما أسماه "الرهبة الدينية"، أو "العُرف الديني"، أو ربما قصد الدكتور أن النحاة رغِبوا في تنزيه النص القرآني والحديثي عن الاستشهاد به في النحو، والثلجُ في ذلك أنه كان عليهم الاعتماد على النصوص القرآنية والحديثية –بعد توثيقها– في الاستشهاد للقواعد النحوية.

وقد ذكر الدكتور محمد عيد أن نصوص القرآن والسنة – صحيحة أو غير صحيحة – ينبغي أن يُنحَّى من النظر اللغوي إليها ما داخَله من العُرف الديني، وما أدَّى إليه قديمًا من الانصراف عن استنباط القواعد منها، كما ينبغي في ضوء هذا الفَهْم درسُها من جديد باعتبارها مصدرًا مهمًّا يُمثِّل نثْر الفصحى في عصر ظهور الإسلام[52].

يقول الدكتور مطير بن حسين المالكي: ((ونقول للدكتور محمد عيد: إنَّ قوله بالتحرز الديني وانصراف النحاة قصدًا عن الاستشهاد بالقرآن والحديث، وتوثيق النحاة للقرآن والحديث بما هو أقل منها فصاحةً، كل ذلك غير صحيح، ولا يثبُت أمام الحقيقة العلمية، بل إنه ينافي جهود النحاة في خدمة القرآن والحديث، تلك الجهود التي ظهرت على شكل مؤلفات عظيمة في غريب القرآن والحديث، ومعاني القرآن، ومجاز القرآن، وإعراب القرآن.

وبهذا يتَّضح أنَّ الحكم على جهود النحاة من خلال وجهة النظر الحديثة، حكم غير دقيق؛ لأنَّ النحاة القدماء لهم الفضل بعد الله في الحفاظ على لغة القرآن، وبحوثهم اللغوية يَشهَد

---

[51] موقف علم اللغة من أصول النحو العربي؛ للدكتور مطير بن حسين، : 13، 14.

[52] ينظر: الرواية والاستشهاد، د. محمد عيد، : 262.

لها القاصي والداني من عرب وغيرهم، فلم يُنَحُّوا القرآن عن دراستهم، بل خدموا لغته، واتَّصلت معظم جهودهم به، فكتاب سيبويه يَحوي ما يَربو على ثلاث مائة آية جاءت لدعم شواهده، أو تقرير قواعده، ومن الواضح تَحامُل الدكتور محمد عيد على النحاة، وعدم اعترافه بجهودهم، حين يرى أن يبدأ من حيث هو؛ ليُقيم نحوًا غير نحوهم، وكأن النحو العربي جملَة وتفصيلاً في نظره لا يصلح أن يكون نحوًا))[53].

يتضح من كلام الدكتور مطير السابق أن قد فَهِم كلام الدكتور محمد عيد بشكل مُطلق وعام، وأن الدكتور عيد يُعمِّم الأحكام، لكن ربما كان الدكتور محمد عيد يقصد بكلامه أن النحاة – أو بمعنى أدق بعض النحاة – نَحَّوْا جانبًا الاستشهاد ببعض القراءات – وخصوصًا الشاذة – وليس كل القراءات، وأن فريقًا منهم قد نَحَّى الحديث للأسباب التي ذكرها هذا الفريق، وهي أن الحديث كان يُروى بالمعنى، وأن معظم رُواته كانوا من الأعاجم، فالدكتور مطير يرى أن الدكتور عيد يُنكر جهود النحاة جُملةً وتفصيلاً، لكنَّ هذا أمرٌ غير صحيح؛ إذ إن كل ما صنَعه الدكتور عيد أنه حاول أن يَجد مبررًا لعدم استشهاد بعض النحاة ببعض القراءات والحديث النبوي، وقد أرجع ذلك إلى التحرُّز ومراعاة العُرف الديني، ودليل ذلك أنه هو نفسه قد أنكَر ذلك على النحاة، وعاب عليهم هِجْرانَهم بعضَ القراءات والحديث، ونادى بضرورة تَنْحِية العُرف الديني أو الرهبة الدينية جانبًا، وإنكاره هذا أمرٌ غير عجيب؛ فقد أنكر من قبلُ ابن الطيب الفاسي على النحويين ردَّهم بعض القراءات، ومن المحدثين من أنكر أيضًا؛ مثل: الأستاذ سعيد الأفغاني، والشيخ محمد الخضر حسين، وغيرهم كثير.

المبحث الثالث: أثر القراءات القرآنية في البحث النحوي

المطلب الأول: القراءات القرآنية والبحث النحوي

كان اهتمام النّحويين بالقراءات القرآنية جلياً فهم من أخذوا بشروط القراءة المقبولة – غالباً – ولكنّهم قبلوا القراءة النادرة والشاذة – أحياناً – بعد أن أخضعوها لمقاييسهم، فهم مثلاً لم يقبلوا " قراءة أحد من القرّاء إلاّ إذا ثبت أخذه عمَّن فوقه بطريق المشافهة والسماع حتّى يتّصل الإسناد بالصحابي الذي أخذ عن رسول الله ﷺ[1].

---

[53] موقف علم اللغة من أصول النحو العربي؛ للدكتور مطير بن حسين، : 14، 15.

[1] مباحث في علوم القرآن: د. صبحي الصالح :250.

ومع ذلك وجدتُ ابن الجزري يقبل كلَّ قراءة؛ ((لأنَّ القراءة سنَّة متّبعة يلزم قبولها والمصير إليها))[2].

ورغم أنَّ سيبويه يخضع أحياناً القراءات للقياس النحوي، فهو يرى – مثلاً – أنَّ (ما) في قوله تعالى:

﴿ما هَذا بشَراً﴾[3] عاملة عمل (ليس) في لغة أهل الحجاز، إلاَّ أنّ بني تميم يرفعون الخبر إلاَّ من عرف منهم كيف هي في المصحف[4].

ولكنّه يشاطر التميميّين رأيهم في عدم إعمال (ما)، ويرى ذلك هو الأقيس؛ لأنّها حرف، وليست فعلاً، فهي لا تشبه (ليس) من ناحية الفعلية، ولا من ناحية الإضمار، وفي ذلك يقول: ((وأمَّا بنو تميم فيجرّونها – [أي يَجرُون الحرف ما –] مَجرى: أما وهل، وهو القياس؛ لأنّها ليست بفعل، وليست: ما كـ: ليس، ولا يكون فيها إضمارٌ))[5].

والأخذ بالقياس في القراءات عند سيبويه لا يمنعه من أن يصرّح في كتابه أنَّ القراءة سنّة، وليست مجالاً للاجتهاد والاختيار، وفي مثل ذلك يقول: ((فأمّا قوله عزّ وجل: ﴿ إنَّا كُلَّ شيءٍ خَلقنَاهُ بِقدَرٍ ﴾[1]، فإنّما جاء على: زيداً ضربته، وهو عربي كثير، وقرأ بعضهم: ﴿ وأمَّا ثمودَ فَهَديناَهُم ﴾[2] إلاَّ أنَّ القراءة لا تُخالَف لأنَّها السنَّةُ))[3]، وإنْ رأى الرّفع في (ثمود) أجود.

استعانَ سيبويه بالقراءات النّادرة والحروف المخالفة في بناء أصوله مثلما استعان بالقراءات المعروفة، وهو من طوّعها – كسائر المصادر – لمقاييسه، و توزّعت في مواقع مختلفة من كتابه.

فأجاز بقراءة بعضهم[4]: ﴿وإنْ تَبدُوا مَا فِي أَنفُسِكُم أو تخفُوه يُحَاسبْكُم بِه الله فَيَغْفِرَ لِمَن يَشَاءُ﴾[5] نَصبَ (يغفر) التي عطفت على جواب الشّرط بإضمار(أنْ) بعد الفاء[6].

---

[2] النشر في القراءات العشر: 10:1، 11.

[3] سورة يوسف: ٣١.

[4] كتاب سيبويه: 28:1.

[5] السابق نفسه: 28:1.

[1] سورة القمر: 49.

[2] سورة فصلت: 17.

[3] كتاب سيبويه:74:1.

[4] قراءة ابن عباس والأعرج، البحر المحيط 360:2.

[5] سورة البقرة: 284.

وأجاز بقراءة ناس[7] من الكوفيّين: ﴿ ثمَّ لننزعَنَّ مِن كلّ شيعةٍ أيُّهم أشدُّ على الرّحمَن عتيّاً﴾[8] نَصْبَ (أيّهم) على الإضافة.

وعدَّ هذه القراءات مقياساً يقيس عليه، كقياسه مع الخليل قولهم: (لاسيَّما زيدٌ) على: ﴿إنَّ الله لا يستَحْيي أنْ يَضْرِبَ مثلاً مَا بَعُوضَةٌ﴾[9] برفع (بعوضة)[10].

حتَّى إنّه في مواضع يعدّها أصلاً يخرج عليها القراءة المشهورة، كما فعل في قوله تعالى: ﴿هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيد﴾[11]، قال: ((فرفعه من وجهين: على شيء لديّ عتيد، وعلى: ﴿وَهَذا بَعلِي شَيخٌ﴾[12]، يريد: أنَّ (عتيد) مرفوع على النّعت من (ما)، أو على أنَّه خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: هو عتيد))[13].

ومجمل القول: إنَّ سيبويه كان وفياً لسنّة القراءة، لا يبخل عن وصف بعضها بالقوة ــ إنْ توفَّرت لها شروط القوة أو الحسن ــ إنْ وافَقت الذّائع المَعروف مِن كلامِ العربِ ــ الّذي يتوخّى فيه ضبط لغة القرآن وصونها من التّحريف.

أمَّا الأخفش، فقد عُرِف باحترامه رسم القرآن[1]، ومع ذلك ما كان ليتورَّع عن رفض كثير من القراءات المشهورة ووصفها باللّحن[2] والرّداءة[3] بل قل اعتمد في كثير من الأحيان على القراءات النّادرة الّتي انفرد برواية كثير منها[4]، وفضّلها على المشهورة،

---

[6] كتاب سيبويه: 3:90.

[7] قراءة معاذ الهراء وطلحة بن مصرف، مختصر في شواذ القرآن: 86.

[8] سورة مريم: 69.

[9] سورة البقرة: 26.

[10] قراءة رؤبة بن العجاج، مختصر في شواذ القرآن : 1.

[11] سورة ق:33.

[12] هود:72. (شيخاً).

[13] كتاب سيبويه: 2:106.

[1] حرصه على رسم القرآن في معاني الأخفش: 61، 62.

[2] معاني القرآن للأخفش: 247.

[3] المصدر نفسه: 329.

[4] من الروايات التي انفرد بها رواية (فاطرُ) (سورة الأنعام: 14)، و(أقولُ لكُما) (سورة الأعراف:22).

إذ يرى – مثلاً – أنَّ نَصْبَ (طائفة) الثانية من قوله تعالى: ﴿يَغشَى طائفةً مِنكُم وطَائفَةٌ قد أهمَّتهُم﴾ [5]، وهي من القراءات التي انفرد بها.

ومع أنّ الأخفش ليسَ ذا موقفٍ واحدٍ من القراءات النادرة والشاذة، إذْ كان يخضعها لمقياسه، يقبل بعضها، ويرفضُ بعضَها الآخر، وما كان ليرفض قراءة الجمهور، فهو يفضّل في قوله تعالى: ﴿ ثمّ آتَينَا مُوسَى الكِتَابَ تَمَاماً عَلَى الّذِي أَحْسَنَ ﴾[6] فتح النون، على قراءة بعضهم بالرّفع[7]، مكتفياً بالقول: ((وفتحه على الفعل أحسن))[8].

أمَّا المبرّد محمد بن يزيد (ت285هـ)، فأخضع القراءات المشهور منها والنّادر إلى مقياسه النّحوي ضارباً الصّفح عن سنّتها متعلّلاً بضرورة التّحليق بأسلوب القرآن، وحَمله على أشرف المذاهب في العربيّة[9]، إضافة لذلك دعا لتجنُّب الأخذ بالقراءات الشاذة لما في ذلك من ضرر على اللغة والنّحو، ومن هنا كان قوله المعروف: ((إذا جعلت النّوادر والشّواذ غرضك كثرت زَلاتك))[10]، ومع ذلك فإنَّ رفض المبرّد بعض القراءات ــ حتّى المشهور منها ــ ووصفه لها باللّحن[11]

والغلط[1] والقبح[2]، وعدم الجواز[3]، وحَمْل بعضها على الضّرورة الشعريّة[4] لا يعني أنّه لم يرتض قراءات أخرى، فهو ارتضى كلّ ما وافق مذهبه. فقراءة ابن عباس: ﴿ لَم يَمْسَسْهُ نارٌ﴾ [5] بعدم إلحاق تاء التّأنيث للفعل مقبولة عنده؛ لأنَّ فاعله مؤنّث غير حقيقي[6].

---

[5] سورة آل عمران 154.

[6] سورة الأنعام: 154.

[7] قراءة يحيى بن يعمر، المحتسب: 234:1.

[8] معاني القرآن للأخفش: 203.

[9] الكامل في اللّغة والأدب: 39:3.

[10] الأشباه والنظائر: 49:3.

[11] المقتضب: 134:2.

[1] مشكل إعراب القرآن: 141/2.

[2] إعراب القرآن للنحاس 198/3.

[3] المصدر نفسه: 184/1.

[4] المقتضب 171/2.

[5] سورة النور: 35. (تمسسهُ).

[6] الجامع لأحكام القرآن: 262/12.

يضاف إلى ذلك أنَّ المبرّد اعتدَّ بالحروف المخالفة وخرّجها، خرّج حرف أُبَي: ﴿تُقَاتِلُونَهُم أو يُسلِمُوا﴾[7] على معنى: ((إلاَّ أن يُسلمُوا وحتَّى يُسلمُوا)).

وصفوة القول: إنَّ المبرد قَبِلَ ما وافق مذهبه النّحوي، ورفض ما لم يوافقه، ووقف من بعضها موقف الحذر، واحتجَّ لِمَا أخذه أحياناً بالقرآن والشّعر.

والكسائي النحوي والقارئ هو من احتجّ بالقراءات، وأيّد بها كلّ ما ينتهي إليه من لغات العرب وأشعارها دون أن يخرج على المقياس النّحوي، فقرأ (يقول) في قوله تعالى: ﴿وَزُلزِلُوا حتّى يقولَ الرَّسُولُ﴾[8] بالرّفع، ثمَّ عاد إلى النَّصب[9].

وعُرف عنه أنَّه ما كان ليتشدَّد في موقفه من الرَّسم[10] القرآني، عندما كان يُقبِل على تَخريج القراءات، ومع ذلك كان يقف من بعض القراءات موقف الحذر، فيقول – مثلاً – لا أعرف[11]. أمَّا القراءات النادرة فقبلها بل قُل وبنى عليها بعض القواعد الجديدة، فأجاز قراءة: ﴿ إنَّ الله ومَلائِكَتُه يُصَلُّونَ عَلَى النّبي ﴾ [12]

برفع الملائكة[1] بالعطف على اسم (إنَّ) قبل مجيء الخبر[2]، وهو من قبل قراءة (أطهرَ) بالنّصب وخرّجها على الحال[3].يضاف إلى ما سبق أنَّ الكسائي وجّه بعض القراءات موضّحاً رأيه النّحوي فيها، فوجّه قراءة[9] مجاهد: ﴿كُتِبَ عَلَيكُم الصّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الّذينَ مِن قَبلِكُم شهرُ رمضانَ ﴾ [10] على معنى: "كُتبَ عَليكُم الصّيامُ، وأن تصومُوا شهرَ رمضانَ"[11].

وهكذا فالكسائي كغيره من النّحاة ما كان يطعن في القراءة ــ ولو كانت بعيدة ــ بل كان يجد لها مخرجاً يجعلها مقبولة في الاستعمال النّحوي واللغوي.

والفرّاء يحيى بن زياد (ت207هـ) نحوي شُغف بلغة القرآن وقراءاته، بل قُل هو من أكثر النّحويين ولعاً بفنونه، ومن أقواله: ((الكتابُ أعرب وأقوى في الحجَّةِ من

---

[7] سورة الفتح: 16. (يسلمون).

[8] سورة البقرة: 214 (يقولَ).

[9] معاني القرآن للفراء: 133/1.

[10] الجامع لأحكام القرآن: 352/14.

[11] معاني القرآن للفرّاء: 377/2.

[12] سورة الأحزاب:56.

[9] مختصر في شواذ القرآن: ص 12.

[10] سورة البقرة: 183.

[11] إعراب القرآن للنحاس: 237/1.

الشّعر))[1]، وهو من ارتضى القراءات المشهورة، ما خلا بعضها[2] التي أعمل فيها مقياسه فأباها، وإن كان موقفه العام التَّسليم والإجلال. أمَّا القراءات غير المشهورة، فهي عندهُ ثلاثةُ أنواع: الحروف المخالفة، والقراءات الأحادية وغير المشهورة، والوجوه النحويّة التي أجازها في الآيات، وكان معظمها قراءات شاذّة.

واستخدمَ في حديثهِ عَنِ القراءات: (قراءة بعضهم)، وأكثَرَ مِن استخدامها إكثاراً واضحاً، ومن ذلك قوله في قراءة قوله تعالى: ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةٌ ﴾[3] ورفعها بعضُهم[3]، ووصفَ بعضَ القراءات بالقلّة، كقوله في قراءة: ﴿مَا كانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُتَّخَذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَولِيَاء﴾[4]:

((والقرّاء مُجتَمِعةً على نَصبِ: نتَّخِذَ إلاّ أَبَا جَعفَر المدني، فإنّه قرأ بالضمّ. وهو على شذوذه وقلّة مَن قرأ به قد يجوز))[5].

أمَّا ثعلب أبو العباس أحمد بن يحيى (ت391هـ)، فتبع أساتذته في كلّ ما يقولون، وسار على نهجهم في النظر إلى القراءات، بل قُل كان يفوقهم احتراماً لها. قال: ((إذا اختلف الإعرابان في القراءات لم أفضّل إعراباً على إعراب، فإذا خرجت إلى كلام النّاس فضّلت الأقوى[6].

أمّا القراءات النادرة، فموقفه لا يخرج عن موقف سابقيه في قبولها، فتراه يذهب إلى ما ذهب

إليه سيبويه في حذف المبتدأ لـ (شيخ) في حرف ابن مسعود: ﴿ وَهَذَا بَعلِي شَيخٌ ﴾ [1]. قال: ((إذا كان مدحاً أو ذمّاً استأنفوه))[2]، ويسير على نهج الكسائي في تخريجه لقراءة[3] الحسن: ﴿ لا يُحِبُّ اللهُ الجهرَ بالسُّوءِ مِن القولِ إلاَّ مَن ظَلَم ﴾ [4] ببناء

---

[1] موقفه في معاني القرآن للفرّاء: 2/81، 82.

[2] سورة الكهف: 5. (كَلِمَةً).

[3] معاني القرآن للفرّاء: 1 / 269

[4] سورة الفرقان: 18. (نَتَّخِذَ).

[5] معاني القرآن للفرّاء: 2 / 264.

[6] الإتقان في علوم القرآن: 1 / 83.

[7] سورة هود: 72. (شيخاً).

[8] مجالس ثعلب: 2/360.

[9] مختصر في شواذ القرآن: ص 30.

[4] سورة النساء: 148. (ظُلِمَ).

(ظلم) للمعلوم، قال: ((قال الكسائي: هذا استثناء يعرض، ومعنى يعرض استثناء منقطع))[5].

من هذا المنظور أرى أنَّ ثعلباً ما كان ليخرج عن دائرة القبول للقراءات المشهور منها والنادر عن أساليب سابقيه في معالجتهم لها وإخضاعها للقياس، بل قُل كان مثلهم في إخضاعها للقواعد النّحوية، وتطويعها بما يناسب المقياس النّحوي الذي يرى فيه كغيره من النّحاة الفيصل في عملية القبول والرّفض لهذه القراءة أو تلك.

المطلب الثاني

القراءات القرآنية والإعراب

ممّا لا شك فيه أنّ الصّلة بين القراءات القرآنية – المشهور منها والنادر – والإعراب متينة، ولعلّ في قول الدكتور عبد العال سالم مكرم ما يؤكّد ذلك:((إنَّ النّحويين الأُوَل الّذين نشأ النّحو على أيديهم كانوا قرّاءً: كأبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر الثّقفي، ويونس، والخليل، ولعلَّ اهتمامهم بهذه القراءات وجّههم إلى الدراسة النّحوية، ليلائمُوا بين القراءات والعربيّة، بين ما سمعُوا وروَوا من القراءات، وبين ما سمعُوا ورَووا من كلام العرب))[1].

والقرآن الكريم – في قراءاته – خير حافظ للّغات واللّهجات، والفضل في ذلك يرجع إلى عناية القرّاء وتدقيقهم في الضّبط وتخريجهم في التلقّي حتّى إنّهم ليراعون اليسير من الخلاف ويلقّنونه ويدوّنونه[2].

هكذا كانَ احتواء القرآن للتغيّرات الإعرابية التي تطرأ بتغيّر القبائل، ومثل ذلك: إعمال (ما) عَمَل (ليس) عند الحجازيين، وإهمالها عند التّميميّين، في قوله تعالى: ﴿ مَا هُنَّ

---

[5] مجالس ثعلب:270/1.

[1] القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، د. عبد العال سالم مكرم : ص77.

[2] من مقال للدكتور عبد الحليم النجار، مجلة كلية الآداب جامعة عين شمس، 1963م: ص12.

أمَّهاتِهم ﴾[3]، أمَّا مسألة (ضمير الفصل)، فبنو تميم لا يهملونه، بل يعدّونه مبتدأ، ويرفعون ما بعده على الخبر[4]، قرأ بها الأعمش وزيد بن علي الآية: ﴿إنْ كانَ هَذا هُو الحقّ مِن عِندكَ ﴾[5].

ومن المسائل التي احتواها القرآن تبعاً للتغيّرات الإعرابية التي طرأت عليها بتغيّر القبائل إلزام المثنّى الألف، وهي لهجة بلحارث بن كعب وزيد وبعض بني عذرة، ونسبها الزجاج إلى كنانة، وابن جني إلى بعض بني ربيعة، فهؤلاء كلّهم يلزمون المثنّى الألف ويعربونه بحركات مقدّرة عليها، وبه قرأ ابن كثير[1] الآية: ﴿ إنَّ هَذانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ [2]، وقرأ أبو سعيد الخدري[3]: ﴿ فَكَان أَبَواهُ مُؤمِنَان﴾[4].

وهكذا فالقرآن الكريم الذي عُرِف عنه بأنّه معرب، وهل أدلّ على ذلك من قول الرسول الكريم مخاطباً المسلمين: ((أعربُوا القرآنَ والتمسُوا غرائبَه))، فطلبه هذا دليل قاطع بأنَّ القرآن معرب، وإعراب القرآن ضرورة يقتضيها المعنى مثل ذلك قوله تعالى: ﴿ إنَّمَا يَخشَى الله مِن عِبَادِهِ العُلمَاء ﴾[5]، وقوله: ﴿ أَنَّ الله بَريءٌ مِنَ المُشركِينَ ورَسولَه ﴾[6]، وقوله عزّ وجل: ﴿وَإذَا ابتَلَى إبراهِيم رَبّه ﴾[7]، هذه الآيات وغيرها لا تفهم الفهم الذي من أجله أنزلت إلاَّ بالإعراب.

ومن هنا كان اعتماد النّحاة في كثير من شواهدهم على القرآن الكريم، فسيبويه ضمَّن كتابه سبعةً وخمسين ومائة شاهدٍ من شواهد القرآن الكريم، وهي تصل إلى أكثر من 60% من مجموع شواهده التي بلغت ستَّةً وتسعين وثلاثمئة شاهدٍ، وهذه النّسبة المرتفعة من شواهد القرآن التي اعتمد عليها سيبويه تدلّ على مدى اهتمامه بالقرآن الكريم لتكون آياته حجّة لعلماء اللغة والنّحو، ولم يكن الفرّاء أقلّ اهتماماً بالقرآن والقراءات من

---

[3] سورة المجادلة: 2.

[4] البحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي: 27/8.

[5] سورة الأنفال:32.

[1] النشر في القراءات العشر لابن الجزري: 321/2.

[2] سورة طه:63.

[3] البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: 255/6.

[4] سورة الكهف: 80.

[5] سورة فاطر:28.

[6] سورة التوبة:3.

[7] البقرة : 124 .

سيبويه، فهو قد ألّف كتاب (معاني القرآن)، وهو[8] يعني فيه بما كان يشكل في القرآن، ويحتاج إلى بعض العناء في فهمه، وهو أيضاً ــ

من ربط المعنى بالإعراب، ففي قوله تعالى: ﴿وزُلزِلُوا حتَّى يقولَ الرّسُولُ﴾[1]، يقول الفرّاء: ((قرأها القرّاء بالنّصب إلاَّ مجاهداً وبعض أهل المدينة ــ هو: نافع ــ، فإنّهما رفعاها. ولها وجهان في العربيّة: نَصْبٌ ورَفْعٌ. أمَّا النَّصب، فلأنَّ الفعل الذي قبلها ممّا يتطاول كالتّرداد، فإن كان الفعل على ذلك المعنى نُصب الفعل بعده بـ: حتّى، وهو في المعنى ماض، فإذا كان الفعل الذي قبل (حتّى) لا يتطاول، وهو فعل ماض رفع الفعل بعد: حتّى إذا كان ماضياً، فأمّا الفعل الذي يتطاول وهو ماض، فقولك: جعل فلان يديم النّظر حتّى يعرفك، ألا ترى أنّ إدامة النّظر تطول، فإذا طال من قبل: حتّى ذهب بما بعدها إلى النّصب، إن كان ماضياً بتطاوله))[2]، وهكذا رأيت أنَّ النّصب عند الفرّاء دليله على أنّ الفعل قبلها " ممّا يتطاول كالتّرداد "، أي: المستمر يتردّد، ولم ينقطع، وهو في الوقت نفسه ماض؛ أي: استمرت الزلزلة، ودامت إلى أن قال الرسول وهكذا يكون النّصب عنده دليلَ الاستقبال، ونظراً لأهميّة إعراب القرآن، فإنّ كثيراً من النحاة مَن صنَّفوا في إعرابه الكتب، ومن الأوائل منهم:

((قطرب أبو علي محمد بن مستنير ت206هـ، وأبو مروان عبد الملك بن حبيب القرطبي ت239هـ، وحاتم سهل بن محمد السجستاني ت 248هـ، وأبو العباس محمد بن يزيد المبرّد ت286هـ، وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ت291هـ، وأبو البركات الأنباري ت 328هـ، وأبو جعفر بن النحاس ت 338هـ، وأبو عبد الله بن خالويه ت 370هـ، ومكي بن أبي طالب القيسي ت 437هـ، وأبو زكريا التبريزي ت 502هـ، وأبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصفهاني ت 535هـ، وأبو الحسن علي

---

[8] معاني القرآن للفرّاء: ص 11 .

[1] سورة البقرة:214 .

[2] معاني القرآن للفرّاء: 132/1.

بن إبراهيم الحوفي ت 562هـ، وأبو البقاء العكبري ت 616هـ، ومنتجب الدين الهمذاني ت 643هـ، وأبو إسحق الفاقي ت 742هـ))[3].

وصفوة القول: إنّي أرى أنّ هناك تلازماً بين النّحو والقرآن الكريم، فالنحويّ لا غنى له عن القرآن إذ هو مادة استشهاده للقواعد النحوية، ولا عجب في ذلك التلاحم بين النحو والقرآن الكريم وقراءاته، فالقرآن هو من هذّب اللسان العربي من وحشي الكلام وغريبه، وممّا يخرج عن الفصاحة، قال ابن خالويه: ((قد أجمع النَّاس أنّ اللغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح ممّا في غيره))[1].

والقرآن الكريم هو من خلّص اللغة العربية من شتات اللّهجات الكثيرة، وهو إضافة لذلك جعل من اللّغة العربية لغة عالميّة تنطق بها الأمم، إذ تغلغلت في الهند والصين وأفغانستان، وحسبنا ما نعلمه من مشاهير العلماء من تلك البلاد، مثل: البخاري، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه، والقزويني، وغيرهم الكثير.

يضاف إلى ذلك أنَّ القرآن الكريم كان له الفضل الكبير في تقعيد اللغة وضبطها، وهكذا ــ وبكل اطمئنان ــ يمكن أنْ أعدَّ القرآن الكريم بمنزلة الروح من الجسد بالنّسبة للّغة العربيّة، بل قل بفضله سادت اللّغة العربيّة وتهذّبت، وضُبِطت قواعدها، واتّصلت حلقات عصورها، وانفتحت للعلوم والمعارف، وحفظت وحدتها.

أمّا القراءات القرآنية التي تعاورها النّحاة، فكانت مادة من مواد الدّرس النّحوي؛ لأنّها ــ وإن تفاوتت النّظرة إليها، واختلفت الآراء في رفضها وقبولها ــ أحدثت نوعاً من التفاعل البنّاء بين النّحاة، وما الاختلاف فيها إلاّ السبيل والمنطلق إلى لغة قرآنية سليمةٍ من كلّ زللٍ أو لحنٍ قد يقع فيه من يجهل القراءات القرآنية وما هي عليه من سلامةٍ في اللغة، فالقرآن الكريم الذي جاء على سبعة أحرف كلٌّ منها شافٍ وافٍ، لا سبيل لتخطئة قراءاته إذا ما توافرت لها شروط القراءة الصّحيحة، ولم تخرج عن مقاييس اللّغة نثرها وشعرها.

النتائج

بعد هذه الرحلة المباركة مع البحث النحوي والقراءات القرآنية يجدر بالباحثة هنا الإشارة إلى أهم ما توصلت إليه من نتائج في البحث وهي:

---

[2] إعراب القرآن للزجّاج: ص 1093.

[1] قول ابن خالويه في المزهر في علوم اللغة العربية للسيوطي: 129/1.

– إن الخطوات الأولى للدرس النحوي تتصل اتصالاً مباشرًا بالقرآن الكريم؛ إذ قامت لخدمته وحمايته من اللحن والتحريف، ثم تطوَّرت فشمِلت بلاغته وإعجازه، وتَعَدَّتْ لدراسة تأويله وتفسيره، ثم دراسته دراسة صوتية لمعرفة مخارج الحروف وتأثير بعضها في بعض.

– إن علماء القراءات قد عرَّفوا القراءة أكثر من تعريف، وبعض هذه التعريفات قريب من المقصود، والبعض الآخر يَبعُد قليلاً، وهناك تعريفات متداخلة.

–إن الاحتجاج للقراءة فن من فنون القراءات، ارتبط تطوُّره بها منذ بدأت حروفًا متفرقة إلى أن صارت عِلمًا مستقلاً، فقد كان في أول عهده غضًّا، يقتصر على المشابهات القريبة التي تعقد بين القراءات أو سائر أساليب اللغة في اللفظ أو المعنى أو التركيب.

– إن للقراءات القرآنية فوائد عديدة؛ منها: ما يتصل بأصول الفقه، وأحكام التشريع، ومنها ما يتعلق بالتفسير، وتلمُّس وجوهه التي هي من باب التنوُّع لا التضاد، ومنها ما يتعلق بإقامة الحجج البالغة، والبراهين الدامغة على حفظ كتاب الله من أن يتطرَّق إليه التصحيف، أو يتسلَّل إليه التحريف.

– إن لعلماء القراءات منهجًا خاصًّا في تناوُل القراءة.

– إن النحويين لم يكونوا على منهج واحد في أمر القراءات القرآنية التي تخرج عن قراءة الجمهور، فمنهم مَن ردَّ بعضها، وقَبِل بعضًا آخر، ومنهم مَن جعل قراءات القرآن كلها حُجة.

– إن القراءات مصدر هام من مصادر النحو الكوفي، ولكن البصريين كانوا قد وقَفوا منها موقفهم من سائر النصوص اللغوية، وأخضعوها لأصولهم وأقْيسَتهم، فما وافَق منها أصولهم ولو بالتأويل، قبِلوه، وما أباها رفضوا الاحتجاج به، ووصفوه بالشذوذ، كما رفضوا الاحتجاج بكثيرٍ من الروايات اللغوية، وعدُّوها شاذَّة، تُحفظ ولا يُقاس عليها.

المصادر والمراجع

- الإبانة عن معاني القراءات، لأبي محمَّد مكي بن أبي طالب القيسي (ت437هـ)، تحقيق الدكتور عبد الفتاح شلبي، مطبعة الرسالة–القاهرة، (د.ت).
- إتحاف فضلاء البشر في قراءات القرّاء الاربعة عشر، للشيخ أحمد بن محمَّد الدمياطي–الشهير بالبناء (ت 117هـ)، تصحيح: علي محمَّد الضّباع، دار الندوة، بيروت –لبنان (د.ت).

- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط3، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1951م .
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيّان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: د. رجب عثمان محمد، ومراجعة: د. رمضان عبد التواب، ط1، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1998م.
- أساس البلاغة، لمحمود بن عمر الزمخشري، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1341هـ /1922م .
- الأشباه والنظائر في النحو، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ط2، 1360هـ .
- أصول التفكير النحوي: الدكتور علي أبو المكارم، الناشر دار غريب 2006م.
- أصول النحو العربي: الدكتور محمد خير الحلواني، الناشر إفريقيا الشرق 2011م.
- أصول النحو العربي: الدكتور محمود نحلة، الناشر دار العلوم العربية، بيروت 1987م.
- الأصول بين الفقهاء والنحاة؛ للدكتور عوض بن حمد القوزي، مجلة الدارة، العدد الرابع، السنة الثالثة عشرة، فبراير 1988- رجب 1408هـ.
- إعراب القرآن، لإبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق: إبراهيم الأبياري، طبع الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية بالقاهرة، 1963م .
- إعراب القرآن، لأحمد بن محمد المصري أبي جعفر النحاس، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، مطبعة العاني ببغداد، 1980م .
- الأعلام، لخير الدين الزركلي، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م .
- البحر المحيط، لمحمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي، مكتبة النشر الحديثة بالرياض. (من دون تاريخ).
- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدوري، لعبد الفتاح القاضي(ت 1403هـ)، دار الكتب العربي، بيروت/لبنان، ط1، 1401هـ-1981م.

- البرهان في علوم القرآن، بدر الدّين محمَّد بن عبد الله الزركشي (ت 794هـ)، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، 1376هـ-1957م.
- تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار الكاتب العربي بمصر، (من دون تاريخ).
- تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة المؤسسة المصرية العامة، 1964م .
- التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت 444هـ)، عني بتصحيحه اوتو برتزل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري،(ت310ه) دار إحياء التراث العربي، تحق/ علي عاشور، بيروت، ط1، 1421هـ -2001م.
- الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط3، دار الكتاب العربي للطباعة والنّشر، القاهرة، 1967م .
- جمال القراء وكمال الإقراء، لعلم الدّين علي بن محمد السخاوي (ت 643ه)، تحقيق: علي حسين البواب، ط/1، مكتبة التراث-مكة المكرمة، 1408هـ-1987م.
- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، ط2، دار الهدى، بيروت، (من دون تاريخ).
- الدراسات النحوية واللغوية في البحر المحيط: رسالة دكتوراه؛ الدكتور عبد العزيز الدليمي، سنة 1992م.
- الرواية والاستشهاد باللغة: دراسة لقضايا الرواية والاستشهاد في ضوء علم اللغة الحديث؛ محمد عيد، الناشر عالم الكتب القاهرة، الطبعة الثانية 1976م.
- السبعة في القراءات، لأبي بكر احمد موسى المعروف بابن مجاهد(ت324هـ)، تحقيق الدكتور: شوقي ضيف، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1400هـ-1980م.
- الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه: الدكتورة خديجة الحديثي، مطبوعات جامعة الكويت، سنة 1394هـ - 1974م.

- شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لأحمد بن محمد الجزري (ت 859ه)، تحقيق: الشيخ علي محمَّد الدباغ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي(د.ت).
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل بن حماد الجوهري(393ه)، تحقيق:- أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت/لبنان، ط4، 1407ه/1987م.
- صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر)، محمد بن اسماعيل البخاري(256ه)، دار ابن كثير، ودار اليمامة، بيروت/ لبنان، تحقيق وتقديم:- مصطفى ديب البغا، ط3، 1407ه/1987م.
- غاية النهاية في طبقات القراء، لمحمد بن محمد أبي الخير شمس الدين العمري ابن الجزري، تحقيق: ج.برجشستراسر، ط1، مطبعة الخانجي بمصر، 1932م .
- فقه اللغة: للدكتور أحمد قدورة، دار الكتاب العربي الجديد، بيروت لبنان، 1996.
- الفهرست لمحمد بن إسحاق بن النديم، مكتبة خياط، بيروت، (من دون تاريخ).
- في أصول النحو: الأستاذ سعيد الأفغاني، الناشر المكتب الإسلامي، سنة النشر 1407هـ - 1987م.
- القاموس المحيط، لمجد الدين الفيروز آبادي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، (من دون تاريخ).
- القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، د. محمود أحمد الصغير، ط1، دار الفكر، بيروت، 1999م .
- القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، د. عبد الهادي الفضلي، ط1، دار المجمع العلمي بجدة، 1399هـ/1979م .
- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: الدكتور عبد الصبور شاهين، الناشر مكتبة الخانجي، دون تاريخ.
- القراءات القرآنية في كتب التفسير حتى القرن السادس الهجري بين النقد والتوجيه، محمد احمد يوسف الصماتي، الآداب – الجامعة المستنصرية – 2004 م– دكتوراه.
- القراءات عند مكي بن ابي طالب، عبد الستار فاضل، مجلة آداب الرافدين، العدد 27، لسنة 1995م.

- القراءات واثرها في التفسير والأحكام، محمد بن عمر سالم بن بازمُول، ط1، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض–السعودية، 1417هـ–1996م.
- القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، د. عبد العال سالم مكرم، مطبعة دار المعارف بمصر، 1992م .
- القرآن الكريم والدراسات الأدبية، د. نور الدين عتر، ط5، منشورات جامعة دمشق، 1992م.
- القياس في اللغة العربية: الدكتور محمد حسن عبد العزيز، الناشر دار الفكر العربي، الطبعة الأولى 1415هـ - 1995م.
- القياس في النحو: الدكتور سعيد جاسم الزبيدي، الناشر دار الشروق 1997م.
- الكامل في اللغة والأدب، لمحمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة، مطبعة دار نهضة مصر، (من دون تاريخ).
- الكتاب، لعمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، طبعة بولاق، 1948م .
- لسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، ط1، 13/3 المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة 1883م.
- لطائف الإرشاد لفنون القراءات، لشهاب الدين القسطلاني (ت 923هـ)، تحقيق: عامر السيد عثمان وزميله، لجنة احياء التراث الاسلامي–القاهرة، 1392هـ.
- اللهجات العربية في القراءات القرآنية: الدكتور عبده الراجحي، الناشر دار المعرفة الجامعية 1996م.
- مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، دار العلم، بيروت، 1969م .
- مجالس ثعلب، لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط2، دار المعارف بمصر، 1375هـ/1956م .
- محاضرات في علوم القرآن، غانم قدوري حمد–مجلة آداب الرافدين–العدد السابع والعشرون 1995م.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف وعبد الفتاح شلبي، القاهرة، 1389هـ/1969م .
- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، للحسين بن أحمد بن خالويه، عني بنشره: ج.برجشستراسر، المطبعة الرحمانية، مصر، 1934م .

- المدارس النحوية: الدكتور شوقي ضيف، الناشر دار المعارف 1968م.
- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو: الدكتور مهدي المخزومي، الناشر مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية 1958م.
- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، د. مهدي المخزومي، ط3، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1986م .
- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، شهاب الدين عبد الرحمن اسماعيل أبو شامة (ت 665هـ)، تحقيق:- طيار اكتي قولاج، دار صادر- بيروت 1407هـ-1987م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرين، ط1، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، (من دون تاريخ).
- المستدرك للحاكم النيسابوري، ط1، مطبعة دائرة المعارف النظاميّة، حيدرآباد الدكن، 1340هـ .
- مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: ياسين محمد السواس، ط2، دار المأمون للتراث، دمشق، (من دون تاريخ).
- معاني القرآن للأخفش (سعيد بن مسعدة)، تحقيق: د. فائز فارس، ط2، الفنطاس، الكويت، 1981م .
- معاني القرآن: لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفرّاء، ت 207هـ؛ تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر عالم الكتب، الطبعة الثالثة 1983م.
- معرفة القرّاء للكبار على الطبقات والأعصار، لشمس الدين أبي عبد الله الذهبي، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، ط1، مطبعة دار التأليف بمصر، 1387هـ/1967م .
- المقتضب لمحمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، (من دون تاريخ).
- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ابي الخير محمد بن محمد الجزري ت833هـ، دار الكتب العلمية بيروت، (د.ت).

۞ الموجز الفريد في أحكام التجويد، عبد الرؤوف عثمان احمد/راجعه الشيخ محمد شحاده الفول ط/2، اصدار صندوق دعم الشريعة الاسلامية–الخرطوم– السودان،1415هـ.

۞ موقف الفراء من القراءات المتواترة في كتابه معاني القرآن: الدكتور محسن هاشم درويش، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد السابع والعشرون، ربيع الآخر 1425هـ – يونيو 2004م.

۞ موقف علم اللغة الحديث من أصول النحو: الدكتور مطير بن حسين المالكي، دون تاريخ.

۞ النشر في القراءات العشر، الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري(833ه)، صححه وراجعه:– الشيخ علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، (د.ت)

۞ النشر في القراءات العشر، لمحمد بن محمد شمس الدّين العمري ابن الجزري، تصحيح: علي محمد الضباع، مطبعة مصطفى محمد، مصر، نشر المكتبة التجارية الكبرى، (من دون تاريخ).

هداية القارئ إلى تجويد كلام الباري، لعبد الفتاح السيد عجمي المرصفي، ط1، 1404هـ على نفقة محمد بن عوض